Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأنقاض ، وأتت على كل ضواحيها الجميلة ، بما فيها الزهراء والزاهرة ، ومات الناس جوعًا ، وفنيت المواشى ، وعمت البطالة ، وأغاض الشقاء الشامل كل بوادر الأمل ، وتكفل وباء بالطاعون بالقضاء على ما أفلت من هذه المحن .

خلال هذه الفتن أتى البربر على بيوت آل حزم فى بلاط مغيث ، وترك ابن حزم نفسه العاصمة نجاة بشخصه ، حين انهارت مقاومة الخليفة الذى وقف إلى جانبه ، وعمل معه وزيرًا ، فلجأ إلى ألمرية ، وبقى فيها فترة ، جاء خلالها من يحدثه عن قصورهم ، وما فعل الزمان بها ، فبكاها نثرًا وشعرًا ، وجاء نثره فيها جميلا ، يعكس مأساته فى صدق ، ويصور محنة العاصمة فى دقة ، وينضح تشاؤمًا وزهدًا ، عرض لما كانت عليه بيوتهم وقرطبة إجمالا ، وما انتهى إليه حالها ، فى جمل قصيرة مزدوجة موجعة ، وتمثيل مجسم حزين الإيقاع ، تكاد معه ترى كل شىء وتلمسه ، وغلبت على أسمائه صيغة الجمع ، سالمًا أو مؤنثًا أو مكسرًا ، واتكأ كثيرًا على ما أسميه الطباق النفسى ، فهو يضع ما كان فى مواجهة ما هو كائن ، بشرًا ، أو حيوانًا ، أو جمادًا ، أو حركة ، إلى جانب الطباق بين المفردات (١٠) .

وألحق بنثره فيها قصيدة كاملة من الشعر ، اقتصر منها ناسخ طوق الحمامة على بيت واحد فحسب ، وجاء **ابن الخطيب** فى كتابه « أعمال الأعلام »(١١) بأبيات منها تبلغ العشرين ، لا ندرى معها إن كانت هذه هى القصيدة كلها أو جانب منها ، لأن ابن حزم طويل النفس فى شعره عادة . والمعانى التى تتردد فى الشعر هى نفسها التى جاءت فى النثر ، مع تفصيل فى هذه ، غير أنه أشار فى الشعر إلى أنه ترك قرطبة مجبرًا ، ولو استطاع لآثر أن تكون له قبرًا ، وردَّ ذلك إلى القدر النافذ يمضى طوعًا أو كرهًا :

فيادارُ لم يقفرْكِ منا اختيارُنا ولو أننا نسطيعُ كنت لنا قبرا
ولكنَّ أقدارًا من الله أُنفذتْ تدمَّرنا طوعًا لما حلَّ أو قهرًا

---

(١٠) يمكن العودة إلى هذا النص فى « طوق الحمامة » بتحقيقنا ، ص ١٢٦ و ١٢٧ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ .

(١١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ونشر باسم تاريخ أسبانيا الإسلامية ، ص ١٠٧ و ١٠٨ ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ .